معركة أكروينون 122هـ/740م وتداعياتها على الصراع الاسلامي البيزنطي

The Battle of Akroinon and it's effect on the conflict between Muslims and byzatines.

منصف مباركية*، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

hippone_cityboy@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2021/12/27 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص: كانت معركة أكروينون سنة 122هـ/740م محطة مؤثرة في الصراع المسلمين والإمبراطورية البيزنطية، فالمسلمون الذين تبنوا منظومة الصوائف والشواتي منذ العهد الراشدي كوسيلة فعّالة لردع الروم وإبقائهم تحت الضغط المستمر بدأوا يواجهون مصاعب حقيقية في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية تحت قيادة الأسرة الإيسورية قبل أن يصطدم الطرفان في موقعة أكروينون التي تكبّد فيها المسلمون هزيمة كبيرة كانت لها تداعيات مؤثرة على الصراع بين الطرفين، وهذا المقال يركز على دراسة هذه النقطة بالذات كإشكالية رئيسية يتمحور حولها الموضوع من خلال محاولة ابراز التحولات التي ترتبت على العلاقات بين الطرفين بعد هذه المواجهة؟ وما يرتبط بها من إشكاليات فرعية مثل الظروف التي أحاطت بهذه المواجهة؟ والأسباب التي أدت إلى النتيجة التي انتهت إليها؟

استطاع الروم في هذه المعركة تحقيق ليس فقط انتصار عسكري استراتيجي وإنما أيضا معنوي على قدر كبير من الأهمية ما أكسبهم ثقة أكبر في امكانياتهم ودفعتهم إلى التخلي عن عقيدتهم العسكرية الدفاعية في مواجهة المسلمين لصالح السياسة الهجومية، بالمقابل ساهمت نتائج هذه المعركة في إرباك المسلمين وأفقدتهم عامل التفوق المعنوي ومعه زمام المبادرة.

كلمات مفتاحية: الدولة الأموية، الإمبراطورية البيزنطية، الصوائف، أكروينون، عبد الله البطال، ليو الايسوري.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

The battle of Akroinon in 740 was a major confrontation between the Califate and the Byzantine empire, until 740 Muslims have been conducting a seasonal expeditions allmost every year into Anatolia for the past century, However the battle resulted in a decisive Byzantine vicory, and this sucess changed the nature of war, the Byzantines became more offensif, and the Arab pressure on Byzantium was slackened.

Keywords: Umayyad – Byzantuim – Raids – Akroinon – Abdallah al-battal – Leo III the Isaurian.

مقدمة:

حظيت المواجهات الأموية البيزنطية على طول الحدود البرية بينهما باهتمام كبير من طرف المؤرخين باعتبارهاتين الدولتين كانتا أكبر قوتين متجاورتين في وقتهما وجمعتهما علاقات ندية إلى أقصى حد، وقد كانت هذه الصدامات العسكرية المستمرة التي امتلكت فيها الدولة الأموية زمام المبادرة تعتبر المظهر الغالب على علاقات التفاعل بينهما، حيث اعتمدت الدولة الأموية منذ تأسيسها في مواجهة خصمها الوحيد المكافئ لها تقريبا على استراتيجية ردعية تقضي بإرسال حملات عسكرية موسمية تُعرف بالصوافي والشواتي تقوم بعمليات سريعة وخاطفة لاستهداف مناطق متفرقة من الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى بشكل سنوي، وقد كان هذا التقليد الموسمي قد تم استحداثه واعتماده منذ العهد الراشدي على شكل حملات صيفية فقط في البداية، وكانت معركة أكروينون Akroinon أواخر العهد الأموي من أبرز المواجهات المباشرة بين الطرفين باعتبارها أكبر تحرك عسكري قام به المسلمون ضد الروم منذ الحملة ضد القسطنطينية أواخر القرن الأول هجري، وقد حظيت هذه الموقعة باهتمام الدارسين وتم التركيز عليها كمعركة محورية بين الخصمين غيرت مجرى الأحداث بعدها حتّى عدّها البعض حدثا مفصليا بين مرحلتين متباينتين في تاريخ العلاقات بين المسلمين والروم، بل وذهب البعض حتّى إلى اعتبارها نقطة النهاية للمد العربي في آسيا الصغرى. وتتمحور إشكالية الموضوع حول هذه النقطة بالذات وكيف غيّرت فعلا معركة أكروينون قواعد الصراع بين المسلمين والروم، وما هي التحولات التي أحدثها في العلاقات بين الطرفين؟ وهل مثلت فعلا نهاية التوسع العربي في آسيا الصغرى؟

سنحاول في هذا المقال الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال استعراض الظروف العامة التي أحاطت بالمعركة، وأهم تفاصيها والنتائج المترتبة عنها، وكذا انعكاساتها على العلاقات الأموية البيزنطية، وذلك من خلال جمع الروايات التاريخية ذات الصلة بالموضوع من مختلف المصادر خاصة العربية والبيزنطية، ومقارنتها وتحليلها لتشكيل صورة متكاملة ومتوازنة عن الحدث وتداعياته.

1- نبذة عن منظومة الصوائف والشواتي:

هي عبارة عن حملات عسكرية سنوية تنطلق التي تعرف منها بالصوائف عادة مع اعتدال المناخ بين شهري ماي وجويلية وتستمر حتى نهاية فصل الصيف وتعتبر هذه الحملات الصيفية هي الحملات الرئيسية ففيها يكون الجو ملائما والغزو ميسورا والمراعي متوفرة والخيل قوية بعد أن تم تهيئتها طيلة فصل الربيع، أما الشواتي فتنطلق عادة نظريا أواخر شهر فيفري وبخلاف الصوائف لا تستغرق هذه الحملات الشتوية وقتا طويلا كما أنها لا تتوغل كثيرا في بلاد الروم، وهي لا تكون إلا للضرورة [1] نظرا للبرودة الشديدة التي تميز آسيا الصغرى في هذا الفصل وأيضا لعدم توفر المراعي لخيول المسلمين أثناء الغزو ما يضطرهم إلى حمل أعلاف دوابهم معهم ما يحد من مجال نشاطهم كثيرا.

بدأت أولى الخطوات لتنظيم الثغور وإطلاق الصوائف والشواتي في لقاء الجابية الشهير الذي عقده الخليفة عمر بن الخطاب مع قادة جيوشه في الشام سنة 17هـ / 638م [2]، حين وضع أسس نظام محكم لموجهة أخطار الجبهة البيزنطية، أين قرر تأمين منطقة الحدود وتنظيم الشام إداريا و عسكريا ومباشرة إرسال حملات لاستهداف بلاد الروم [3]، ورغم أن المصادر تختلف في تحديد تاريخ أول صائفة تم تنفيذها إلا أنها على الأرجح كانت سنة 21هـ/642م بقيادة عمير بن سعد الأنصاري [4] وضمّت عددا كبيرا من الجند وتوغّلت في بلاد الروم حتى وصلت إلى منطقة تطلق عليها المصادر العربية الحمار فخربتها وقتلت أهلها [5]،

---

[1] - ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص 259.

[2] - M. A. Cheira, **La lutte entre Arabes et Byzantins, La conquête et l'organisation des frontières aux 7 et 8 siècles**, Société de publications égyptiennes, Alexandrie 1947, p 68.

[3] - محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 4، دار المعارف، ط 2، مصر، ص 64.

[4] - صحابي من الأوس شهد فتح دمشق، كان واليا على حمص (20-24هـ) من طرف عمر بن الخطاب حتى عزله عثمان ابن عفان.

راجع: علي بن الحسن بن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، ج 46، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص ص 478-484.

[5] - أحمد بن يحي البلاذري، **البلدان وفتوحها وأحكامها**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط 1، بيروت، 1992، ص ص

حيث يبدو أن كل الظروف كانت مواتية لإطلاق حملات الصوائف في هذا التاريخ بعد أن تمّ تأمين الشام من الجهة الشرقية مع سيطرة المسلمين على الجزيرة وتنظيم المنطقة الحدودية بها سنة 20هـ/641م [1]، وقد استمر المسلمون في إرسال هذه الحملات بشكل سنوي تقريبا في العهد الراشدي حتى سنة 33هـ/654م وقد لعب معاوية بن أبي سفيان دورا حيويا في ترسيخ وإرساء معالم هذه الاستراتيجية في تلك الفترة عندما كان واليا على الشام والجزيرة.

بعد تأسيس الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان 41هـ/661م تم إعادة اطلاق الحملات السنوية بعد توقف دام حوالي ثماني سنوات بسبب انشغال المسلمين بالفتنة الكبرى[2]، وقد عرفت هذه المنظومة في ظل حكم معاوية تطورا كبيرا في أدائها خاصة مع إضافة حملات الشواتي إليها [3]، وقد واصل جهود الحفاظ على هذه الاستراتيجية من بعده عبد الملك بن مروان وخلفائه أين تم إضافة تعديلات بنيوية على منظومة الصوائف والشواتي بلغت ذروتها مع استحداث نظام الصائفتين نهاية القرن الأول الهجري/بداية القرن الثامن الميلادي حيث أصبح يتم إرسال حملتين منفصلتين بشكل متزامن إحداهما تدخل بلاد الروم من ملطية [4] أو الحدث [5] أو مرعش [1] عبر الجزيرة الفراتية وهي الصائفة اليمنى، والأخرى

---

160 – 159.

[1] - Cheira, Op cit, p 67.

[2] - كانت أول صائفة في العهد الأموي سنة 42هـ الطبري، مصدر سابق، ج 5، ص 172.

[3] - تذكر المصادر أن أول شاتية ببلاد الروم كانت سنة 42هـ في حملة بحرية شارك فيها عبد الملك بن مروان وكان حينها يبلغ السادسة عشر من العمر. راجع ابن عساكر، مصدر سابق، ج 37، ص 114.

[4] - ملطية: من أكبر مدن الثغور متصلة ببلاد الروم فتحت لأول مرة في عهد عمر بن الخطاب على يد حبيب بن مسلمة الفهري، تتميز بموقع مهم باعتبارها ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الحيوية والأنهار وكانت من أهم محطات عبور جيوش المسلمين إلى آسيا الصغرى.

علية عبد السميع الجنزوري، **الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص ص 111-112.

[5] - الحدث: مدينة صغيرة بها حصن يحمل نفس الاسم يعتبر من أهم المعاقل الإسلامية في الثغور فتحت على يد حبيب بن مسلمة الفهري في خلافة عمر بن الخطاب تتحكم في درب مهم جدا لتحركات جيوش المسلمين نحو بلاد الروم يعرف بدرب الحدث.

ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، م 2، دار صادر، بيروت، 1977، ص 227 / علية عبد السميع الجنزوري، نفسه، ص 97.

تدخل بلاد الروم من درب البوابات القيليقية مرورا بأنطاكية وهي الصائفة اليسرى، وهذا التعديل على نظام الصوائف حدث بعد فترة قصيرة من إجراء تعديل على منطقة الحدود حيث تم فصل الجزيرة عن قنّسرين وجعلها جندا مستقلا بذاته أواخر عهد عبد الملك بن مروان [2] وهكذا ستظهر جبهتين من العمليات مستقلة إحداهما عن الأخرى، وستبدأ المصادر بذكر حملتين منفصلتين بشكل متزامن على بلاد الروم منذ سنة 90هـ/709م لكنها مع ذلك لا تذكرها تصريحا بشكل واضح ومباشر لأول مرّة إلا في أحداث سنة 93هـ/712م عند ابن عساكر [3].

لقد حققت حملات الصوائف والشواتي منذ تأسيسها حتى عهد هشام بن عبد الملك عدة مكاسب للدولة الإسلامية إذ نجحت خلال الفترة المروانية بالتحديد في فتح عدة مدن وحصون والسيطرة على أخرى داخل الأراضي البيزنطية مثل المصيصة Mopsuestia سنة 84هـ/703م [4]، وطوانة Tyana سنة 88هـ/707م [5]، وطرندة Taranton سنة 92هـ/711م [6]، وأنطاكية Antioch في إقليم بيسيديا سنة

---

[1] - مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم بها حصن يعرف بالمرواني تم استحداثه في عهد مروان بن محمد كانت قاعدة مهمة لحملات المسلمين ضد بلاد الروم.

ياقوت الحموي، نفسه، م 5، ص 107 / علية عبد السميع الجنزوري، نفسه، ص 84.

[2] - البلاذري، مصدر سابق، ص 154.

[3] - ابن عساكر، مصدر سابق، ج 57، ص 361.

[4] - البلاذري، مصدر سابق، ص ص 193-194.

المصيصة: مدينة من ثغور الشام تقع على ضفة نهر جيحان وهي بين أنطاكية وبلاد الروم. ياقوت الحموي، نفسه، م 5، ص 145.

[5] - الطبري، مصدر سابق، ج 6، ص 434.

طُوانة: مدينة في بلاد الروم تتمتع بأهمية استراتيجية كبيرة تقع على الطريق الرابط بين الشام والبوسفور وتشرف على مضيق البوابات القيليقية في جبال طوروس من الشمال.

فتحي عثمان، **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**، ج 2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، ص 81.

[6] - Michel le syrien, **Chronique de Michel le Syrien,** Traduite par J. B. Chabot, Tome 2, Paris 1901, p 479.

طُرندة : مدينة من بلاد الروم تقع على ثلاث مراحل من ملطية. ياقوت الحموي، مصدر سابق، م 4، ص 32.

94هـ/713م [1]، وهرقلة Heraclea وحصون أخرى سنة 95هـ/714م [2]، وقيصرية Caesarea سنة 107هـ/726م [3]، وخنجرة Gangra سنة 109هـ/727م [4]، بالإضافة إلى أن استمرار تدفق الحملات على بلاد الروم بشكل سنوي تقريبا أجبر الروم على تبني سياسة دفاعية في أغلب فترات استقرار الدولة الأموية، وساهمت هذه الحملات في إلحاق خسائر عسكرية، واقتصادية، وبشرية كبيرة بالإمبراطورية.

2- الأوضاع داخل الدولتين عشية المعركة:

يبدو من المنطقي بل من الضروري الاطلاع على الحالة التي كانت تعيشها كل من الدولة الأموية والامبراطورية البيزنطية في السنوات التي سبقت المواجهة في أكرونون حتى نضع الحدث في سياقه التاريخي ما سيساعد على التفسير الموضوعي له.

كانت الدولة الأموية في ظل خلافة هشام بن عبد الملك تعيش حالة من الاستقرار إلى حد كبير، فعلى الصعيد الداخلي لم تعرف الخلافة أي حركة تمرد مناوئة هددت تماسك الجبهة الداخلية بشكل جدي منذ تمرد يزيد بن المهلب في سنة 101-102هـ/720م، وحتى الثورة التي قادها زيد بن علي في الكوفة بالعراق سنة 122هـ/740م لم تشكل أي قلق أو ازعاج حقيقي للسلطة في دمشق إذ سرعان ما تم اخمادها من طرف والي العراق يوسف بن عمر الذي قتل زيد بن علي في صفر/جانفي من نفس السنة [5] دون الحاجة إلى طلب التعزيزات من الخليفة، أما على الصعيد الإقليمي فقد استطاعت الدولة الأموية عشيّة مواجهة أكرونون القضاء على خطر الترقش في الشرق بعد الهزيمة الكبيرة التي ألحقها بهم أسد بن عبد الله

---

[1] - Theophanes, **The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813**, Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Clarendon press. Oxford 1997, p 533.

[2] - الطبري، مصدر سابق، ج 6، ص 492.

[3] - خليفة بن خياط العصفري، **تاريخ خليفة**، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض،
1985، ص 337.
قيصرية: تعرف في المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية باسم قيسارية وهي مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم. ياقوت الحموي، مصدر سابق، م 4، ص 421.

[4] - خليفة، نفسه، ص 338 / أحمد اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، ج 2، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، بيروت، 2000، ص 259.

[5] - الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 186.

القسري سنة 119هـ/737م [1]، كما استطاعت الحد من تأثير الخزر وخطرهم على مراكز المسلمين في القوقاز وأرمينية أيضا الذي خيّم على المنطقة لسنوات طويلة منذ نهاية القرن الأول الهجري/الثامن الميلادي وسبّب الكثير من الازعاج للخلفاء واستقطب تركيزهم ومجهودهم بعيدا عن الجبهة البيزنطية، وقد استطاع المسلمون التخلص من ضغط الخزر بعد الحملة الكبيرة التي قادها مسلمة بن عبد الملك ضدهم سنة 113هـ/731م [2] قبل أن يقوم مروان بن محمد بتحييد تهديدهم تماما بعد ذلك بست سنوات عندما اكتسح بقواته سنة 119هـ/737م بلاد اللان وبلنجر وسمندر وبلغ عاصمة الخزر نفسها التي تعرف في المصادر العربية بالبيضاء [3]، وقد انعكس هذا الوضع إيجابا على حملات الصوائف التي عرفت انتعاشا كبيرا يمكن ملاحظته بسهولة من خلال ارتفاع وتيرتها بالتزامن مع ذلك، خاصة في الفترة بين سنوات 114-121هـ/732-739م وهي المرحلة التي طالت فيها الهجمات الإسلامية مراكز بيزنطية مهمة داخل آسيا الصغرى مثل قيصرية Caesarea في قبادوقيا، وبافلاجونيا Paphlagonia في الشمال، وسيبرة Kibyra وسردة Sardis وسندرة Sideron في الغرب، وهكذا يتبين أن ضغط الدولة الأموية على خصمها كان كبيرا وأخذ وتيرة تصاعدية قبل المواجهة بينهما في أكرونون.

أما الدولة البيزنطية فقد عرفت بدورها فترة استقرار سياسي غير مسبوق في ظل حكم الأسرة الإيسورية بقيادة الامبراطور ليو الثالث Leo III الذي باشر منذ اعتلاءه العرش سنة 98هـ/717م سياسة إصلاحات عسكرية واقتصادية واعدة لإنعاش الدولة المنهكة في مواجهة خصومها الإقليميين خاصة الدولة الأموية التي استطاعت قواتها أن تحاصر مدينة القسطنطينية للمرة الثانية بالتزامن مع اعتلاه العرش البيزنطي حيث طبعت هذه اللحظة التاريخية توجه الأسرة المعادي للمسلمين والدولة الأموية لاحقا.

---

[1] - محمد عبد الحي محمد شعبان، **صدر الإسلام والدولة الأموية 600-750م (132هـ)**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص 158.

[2] - خليفة، مصدر سابق، ص 344 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 88.

[3] - خليفة، نفسه، ص 349 / البلاذري، مصدر سابق، ص ص 243 - 244 / ابن عساكر، مصدر سابق، ج 57، ص ص 323 - 324.

ارتكزت الإصلاحات التي قام بها ليو الثالث على إضفاء بعض التعديلات على نظام الثيمات [1] حيث عمل على تقسيم الثيمات الأربعة التي تأسست في بادئ الأمر خلال القرن السابع الميلادي إلى ست مقاطعات حيث ظهر ثيم تراقية Thracesian كمقاطعة مستقلة عن قائد الأناضول بعد أن تم اقتطاع جزء من غرب ثيم الأناضول وأُنزل فيه جند من تراقيا تحت قيادة ستراتيجوس Strategos وليس تورماخ Turmach كما في السابق، والثيم الثاني المستحدث كان البوكولاري Bucellari (البقلار في المصادر الجغرافية العربية [2]) الذي تأسس على القسم الشرقي من الأبسيكيون Opsikion وقد تخصص في التموين، والإجراء الآخر الذي قام به ليو الثالث أيضا هو منح قائد الثيم البحري كبيرهايوت Kibyrrhaiots لقب ستراتيجوس عوض درونجاريوس Drungarius (أدميرال -أمير البحر-) كما جرت عليه العادة من قبل، حيث لا نسمع بلقب ستراتيجوس الكبيرهايوت إلا سنة 731م/113هـ، وعلى الرغم من أنه كان يتمتع باستقلالية تامة حتى قبل هذا الإجراء إلا أن هذه الخطوة رفعت من مكانة قائد الكبيرهايوت ليتساوى في المرتبة مع قادة الثيمات الآخرين مثل الأناضول والأرمينياق [3]، كما يبدو أن هذا التعديل الذي قام به ليو الثالث على الإقليم البحري قد رافقه أيضا تحويل قاعدة الأسطول من الجزر

---

[1] - الثيمات أو الثيماتا Themata هو نظام اداري عسكري نشأ في بيزنطة في القرن السابع ميلادي على الأرجح لمواجهة التحديات الخارجية ويقضي بتقسيم الأراضي البيزنطية إلى مقاطعات (ثيمات) تتمركز فيها فرق عسكرية لحمايتها وعلى رأس كل مقاطعة حاكم يحمل لقب ستراتيجوس Strategos يتقلد السلطة المدنية والعسكرية فيها.

عائشة سعيد شحاتة أبو الجدايل، **الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) «دراسة في التطورات والتغيرات»**، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، 1995، ص ص 273-304.

[2] - ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص 108.

- أسد رستم، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، ج 1، دار المكشوف، ط 1، بيروت،[3]

1955، ص ص 301 – 302.

J. B. Bury, **A History of Later Roman Empire**, Vol 2, Macmillan and co, London 1889, , p p 342, 349, 350.

الإيجية إلى مدينة كبيرا Cybira -Kibyra- في جنوب الأناضول وهي التي أعطت اسمها في النهاية لهذا الإقليم البحري [1]، وهكذا أصبحت قيادة الأسطول البحري أقرب من ذي قبل إلى الساحل الشامي.

بجانب التعديلات الإدارية والعسكرية السابقة ربما يكون ليو الثالث قد قام أيضا بإجراء آخر مهم يقضي بنزع الصلاحيات المالية من قادة المقاطعات العسكرية حيث نجد في وقت لاحق أن المسائل المالية كانت تحت إشراف موظفين مختصين [2]، وقد أدت تعديلات ليو الثالث إلى تحجيم ثيم الأناضول بصفة خاصة بحيث لم يعد مهيمنا على آسيا الصغرى كما في السابق حتى وإن بقي على قدر كبير من الأهمية، وتفسر بعض المراجع هذا الاجراء الذي قام به ليو الثالث برغبته في الحد من نفوذ وموارد قادة الثيمات حتى يأمن خطرهم ويدعم مركزه في العرش في مواجهة كل تمرد محتمل [3]، لكن هذه الإصلاحات ساهمت أيضا من دون شك في تحسين أداء جنود الثيمات.

كما اهتم ليو الثالث أيضا بالنهوض بالحياة الاقتصادية لبلاده، حيث أصدر مجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوغا Ecloga "المختارات" سنة 726م التي تعتمد في جوهرها على قانون جستنيان، وشملت هذه المختارات القانونية جوانب متعددة، وفي الجانب الاقتصادي منها تعرضت إلى التجارة البحرية Leges navales حيث تضمنت قانونا يهدف لتنظيم هذا النشاط [4]، أما في المجال الزراعي فقد أصدر قانون المزارعين Leges rusticae سنة 726م بالتزامن مع إصدار الاكلوغا، ويضم 28 مادة [5] للحيلولة دون وقوع ضرر بالإنتاج وممتلكات القرويين من خلال تحديد العقوبات التي تفرض على كل من يتسبب في إلحاق الخسائر بزراعة المجتمع [6].

---

[1] - Warren Treadgold, **A History of the Byzantine State and Society**, Stanford University Press, California, 1997, p 352.

[2] - Bury, Op cit, Vol 2, p 349.

[3] - أسد رستم، مرجع سابق، ج 1، ص ص 301 - 302 / فتحي عثمان، مرجع سابق، ج 1، ص 99.
Bury, Op cit, p 350.

[4] - محمد مؤنس عوض، **الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، (330-1453م)**، عين للدراسات
والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط 1، الجيزة، مصر، 2007، ص ص 216 - 217.

[5] - محمد مؤنس عوض، نفسه، ص 217 / أسد رستم، مرجع سابق، ج 1، ص 299.

[6] - ستيفن رنسيمان، **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2،
1997، ص 250.

إن هذه الإصلاحات العميقة التي طبقها ليو الثالث قد بدأت تعطي نتائج إيجابية على الأرض حيث أصبحت الإمبراطورية أكثر تماسكا وصلابة في مواجهة المسلمين، وأصبحت الحملات الموسمية تلقى صعوبات حقيقية عند التوغل في بلاد الروم وتواجه بمقاومة عنيفة، والخسائر في صفوف المسلمين التي كانت قليلة جدا ولا تأتي المصادر على ذكرها إلا نادرا قبل وصول هذه الأسرة إلى السلطة نجدها أصبحت أقل غرابة بعدها في ظل حكم الإمبراطور ليو الثالث الذي كان يتميز بالحيوية والذكاء مع كفاءة عسكرية وتنظيمية عالية.

3- صائفة سنة 122هـ/740م ومعركة أكروينون:

كان سليمان بن هشام [1] قد بدأ قيادة الحملات ضد بلاد الروم منذ سنة 114هـ/132م [2] واختص في البداية بجبهة العمليات عبر الجزيرة فيما يعرف بالصوائف اليمنى مركّزا نشاطه على منطقة قبادوقيا شرق آسيا الصغرى، في حين كان أخوه معاوية مكلفا بقيادة الصوائف اليسرى الأكثر أهمية وتجهيزا عبر الثغور الشامية، وبعد وفاة هذا الأخير سنة 119هـ/737م إثر حادث عرضي عقب عودته من الغزو [3] أصبح سليمان هو الغالب على قيادة الصوائف حتى وفاة أبيه هشام بن عبد الملك، وأكبر تحرك عسكري اضطلع به ضد البيزنطيين كان سنة 122هـ/740م حين قاد حملة كبيرة على بلاد الروم تقدّر المصادر البيزنطية عدد أفرادها بتسعين ألف رجل [4] حدث فيها أن اشتبكت الطليعة التي أرسلها سليمان لتتقدم الجيش بقيادة مالك بن شبيب [5] مع جيش بيزنطي يقوده الإمبراطور ليو الثالث بنفسه رفقه ابنه وولي عهده قسطنطين عند حصن أكروينون وهذه المواجهة البارزة في تاريخ الحروب الأموية البيزنطية نملك عنها تفاصيل مهمة لحسن الحظ في المصادر العربية والبيزنطية على حد سواء ومحاولة التوفيق بينها ستساعدنا على رسم صورة منطقية وأقرب للحقيقة حول وقائع هذه المواجهة.

---

[1] - هو ابن الخليفة هشام بن عبد الملك من أم حكيم بنت يحي بن أبي العاص، اشتهر بقيادة حملات الصوائف ضد بلاد الروم في خلافة أبيه وشهد الفتن التي عمّت الشام أواخر العهد الأموي قتله أبو العباس السفاح مع قيام الدولة العباسية.

ابن عساكر، مصدر سابق، ج 22، ص ص 395-400.

[2] - خليفة، مصدر سابق، ص 346 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 90.

[3] - ابن عساكر، مصدر سابق، ج 59، ص 283.

Theophanes, Op cit, p 570.

[4] - Theophanes, Ibid, p 571.

[5] - مالك بن شبيب الباهلي كان أميرا على ملطية في عهد هشام بن عبد الملك.

ابن عساكر، مصدر سابق، ج 56، ص 459.

بعدما أتمّ سليمان بن هشام استعداداته في منطقة دابق [1] الحدودية شمال حلب كما جرت عليه العادة باعتبارها قاعدة تجمع وانطلاق جيوش الصوائف للغزو خلال العهد الأموي [2] يبدو أنه تحرك بقواته قاصدا آسيا الصغرى عبر منطقة قيليقية Cilicia التي بفضل موقعها ومراكز المسلمين فيها كانت محطة رئيسية في طريق حملات الصوائف وأحد الروافد المهمة لها، ومنها اجتاز درب البوابات القيليقية شمالا وعندما أصبح داخل الأراضي البيزنطية أرسل السرايا لتتقدم جيشه عميقا داخل الأناضول بينما بقي هو مع الجيش الرئيسي في حدود ستين ألف رجل بنواحي طوانة [3]، فتقدمت طليعة بقيادة مالك بن شبيب وعبد الله البطال تضم بضعة آلاف من الجند [4] باتجاه الغرب حتى وصلت منطقة حصن أكروينون Akroinon (تذكرها المصادر العربية تحت اسم أقرن) بالقرب من عمورية Amorion، وكان الإمبراطور ليو الإيسوري رفقة ابنه قسطنطين قد تهيّأ بشكل جيّد لإيقاف زحف المسلمين على آسيا الصغرى فلمّا علم بانفصال مالك بن شبيب عن القوات الرئيسية للحملة ووصوله إلى نواحي أكروينون وقلّة من معه من الجند أراد استغلال الفرصة التي لاحت له فتقدم بجيشه نحو القوات الاسلامية لمواجهتها، وكان قائد الحصن صهرا للبطال حسب ما ترويه المصادر العربية فأعلمه بخروج الامبراطور لملاقاته وبكثرة من معه من الجنود (مائة ألف في الرواية العربية) وأشار عليه بالانسحاب إلى مدينة سنادة Synada جنوبا والتحصن بها حتى يلحق به سليمان بجيش الصائفة، لكن قائد السرية مالك بن شبيب لم يأخذ بهذا الرأي بتأثير من مساعديه الذين لم يقتنعوا برواية قائد الحصن واعتبروا نصيحته للبطال مجرد مكيدة، وهكذا قرّر مواصلة عملياته في المنطقة والتوغل أكثر داخل بلاد الروم حتى وجد نفسه بعد ذلك بيوم واحد فقط في مواجهة جيش بيزنطي يفوق قواته بأضعاف، وبعد مشاورات سريعة مع البطال قررا في ظل

---

[1] - قرية تقع على بعد أربعة فراسخ من حلب، بها مرج فسيح معشّب وكانت معسكرا لتجمع قوات الصوائف عند غزو بلاد الروم في عهد بني مروان.

ياقوت الحموي، مصدر سابق، م 2، ص 416.

- ابن عساكر، مصدر سابق، ج 2، ص 346 / كمال الدين بن العديم، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، حققه وقدم له[2]

سهيل زكار، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 48.

[3] - Theophanes, Ibid, p 571.

- تختلف المصادر في تقدير حجم الطليعة التي قادها مالك بن شبيب وأفضت به إلى أكروينون (أقرن) فابن عساكر[4]

يذكر أنها كانت تتكون من ثمانية آلاف فرد، بينما المؤرخ البيزنطي ثيوفانس يذكر أن عددها كان عشرين ألفا.

غياب هامش المناورة أمامهما الاحتكام إلى الخيار الأصعب وهو الاشتباك مع القوات البيزنطية فدارت بين الطرفين معركة عنيفة استطاع فيها المسلمون رغم التفوق العددي للبيزنطيين الصمود طيلة اليوم لكنها في النهاية انتهت بانتصار ساحق للروم الذين تمكّنوا من إبادة القسم الأكبر من السريّة بما في ذلك القائد مالك بن شبيب، وعبد الله البطال، والكثير من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة كعبد الوهاب بن بخت، وانسحب من نجا من المعركة مع نهاية اليوم إلى مدينة سنادة فتحصنوا بها فلحق بهم الامبراطور ليو الايسوري من الغد وضرب عليهم الحصار، لكنه اضطر إلى الانسحاب والعودة إلى القسطنطينية بعدما وصلته الأخبار بتقدم سليمان بن هشام نحوه على رأس القوات الرئيسية لحملة الصائفة، الذي وصل إلى سنادة بعد المعركة بأيام قليلة وبقي بها حتى أسعف من أصيب من المسلمين في القتال ثم رحل عنها [1].

لقد انتهت هذه الحملة، رغم ما حققته من مكاسب مادية [2]، إلى كارثة حقيقية فقد تم أسر وإبادة عدد معتبر من قوات المسلمين الذين لم يتكبّدوا خسائر بمثل هذا الحجم الكبير منذ هزيمة طُوانة سنة 85هـ/704م كما فقدوا فيها عددا من أبرز المقاتلين الذين اشتهروا في غزوات الصوائف وأتحدث هنا بشكل خاص عن عبد الله البطال [3]، الذي جعلت منه القصص بطلا أسطوريا في جهاد البيزنطيين وتغنّت به الأشعار وبما أبداه من شجاعة في هذه المعركة بالذات في قصيدة تصوّر في مطلعها بوضوح النتيجة التي انكشفت عنها موقعة "أقْرُن" عندما تصف بحزن كيف انتهى جيش بأكمله جثثا على أرض المعركة [4]، وفي ظل صمت المصادر العربية لا نجد تفاصيل عن حجم خسائر المسلمين إلا في المصادر البيزنطية التي تقدرها بأكثر من ثلاثة عشر ألف بين قتيل وأسير حيث لم ينجوا من القوات التي واجهت الجيش البيزنطي إلا حوالي ستة آلاف وثمانمائة رجل فقط [5].

ترجع أسباب هذه النكسة كما هو واضح إلى عدم تكافؤ القوة العسكرية لطرفي المواجهة حيث كان الجيش البيزنطي يفوق بأضعاف الجيش الإسلامي كما أن المعركة دارت في ظروف مواتية للبيزنطيين، وهذه

---

[1] - ابن عساكر، مصدر سابق، ج 33، ص ص 405 - 406 / ج 56، ص ص 459 - 460.

[2] - Theophanes, Op cit, p 571.

[3] - اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاة البطال ويظهر عليها الكثير من التشويش والارتباك، حيث يورد ابن عساكر (تاريخ دمشق) روايات مختلفة تجعل وفاته في سنوات 112هـ و 113هـ و 121هـ، بينما يذكر كل من خليفة (تاريخه) ومسكويه (تجارب الأمم) أنه قتل في بلاد الروم سنة 121هـ، في حين يذكر الطبري (تاريخ الرسل) وابن الأثير (الكامل في التاريخ) وابن كثير (البداية والنهاية) أنه قتل سنة 122هـ وهو الأصح.

[4] - ابن عساكر، مصدر سابق، ج 33، ص ص 406 - 407.

[5] - Theopanes, Op cit, p 571.

المواجهة غير المتكافئة ساهمت في حدوثها سلسلة الأخطاء الكثيرة التي ارتكبها المسلمون خلال هذه الحملة، منها افتقاد قائد الصائفة سليمان بن هشام للحذر اللازم وافتقاره إلى الحنكة العسكرية وإلا كيف يمكن تفسير سماحه لسرية بعدد محدود من الجند التوغل عميقا في بلاد العدو حتى ينقطع بينهما الاتصال، فقد كان هو بنواحي طُوانة بينما واصل مالك تقدمه حتى أكرونون على مسافة أكثر من أربعمائة كيلومتر بينهما، في حين كان من الأجدر أن يكون نشاط السرية في نطاق قدرة الجيش الرئيسي على دعمها سريعا عند الحاجة، كما أن عدم قدرة قائد السرية على اتخاذ القرارات الصائبة استنادا إلى معلومات توفرت إليه عن حجم وقوّة الجيش البيزنطي بقيادة الإمبراطور نفسه دفعت مباشرة باتجاه هذه النهاية المؤلمة، فقد تجاهل مالك بن شبيب رأي عبد الله البطال، الذي أشار به عليه صهره كما سبق ذكره، بضرورة الانسحاب والتحصن بسنادة حتى وصول الدعم وهذا الأمر لو تمّ كان كفيلا بتحقيق سلامة السرية وكان منح مالك بن شبيب القدرة على الدفاع والمقاومة لعدة أيام، وأكثر من هذا كان سيتيح له الاستفادة من هذه المعلومة الخطيرة وتبليغها لقائد الجيش سليمان بن هشام حتى يأتي وهو على استعداد كامل مدركا لحجم التحدي الذي سيواجهه. كما تُظهر هذه النكسة كذلك ضعف عمليات الاستطلاع وجمع الأخبار عند الجيش الإسلامي فبينما كان الامبراطور البيزنطي على اطلاّع كامل بتحركات المسلمين في المنطقة وحتى عدد قواتهم كان سليمان بن هشام ومالك بن شبيب يجهلان تماما استعدادات الامبراطور الكبيرة لمواجهة المسلمين.

لقد كانت موقعة أكرونون آخر المواجهات البرية الكبرى بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، وقد تخلصت آسيا الصغرى من خطر المسلمين بشكل كبير بعد انكسارهم في هذه المعركة [1]، وستعرف بعدها حملات الصوائف انحسارا رهيبا، نتيجة الصدمة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين هناك، قبل أن تنكفئ الدولة الأموية على نفسها وتنشغل بحروبها الداخلية التي تفجّرت في كل مكان بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة 126هـ/744م [2]، وهكذا لم يسعفها الوقت لاستدراك ما حل بقواتها وهيبتها في أكرونون، ومن جهة أخرى ستستغل الإمبراطورية البيزنطية الزخم المعنوي الذي حققته بعد المعركة وأيضا اضطراب أحوال الدولة الإسلامية بعد ذلك بقليل للانتقال إلى موقع المبادرة.

4– تداعيات الهزيمة في أكرونون:

أسهمت النتائج التي تجلّت عنها معركة أكرونون في انعكاسات عميقة في العلاقات بين الطرفين وفي تحول كبير في مجرى الصراع بينهما، حيث استغلت الإمبراطورية الزخم المعنوي الذي صاحب انتصارها الكبير على المسلمين وتحطيم جيشهم قرب حصن أكرونون والارتباك الذي أصابهم بعد ذلك للانتقال إلى

[1] - فتحي عثمان، مرجع سابق، ج 2، ص 94.

[2] - خليفة، مصدر سابق، ص 363 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 231.

وضعية الهجوم وعكس الضغط ضد خصمها الرئيسي الدولة الأموية، وهكذا بعد سنة واحدة فقط من هذه الموقعة أرسل الامبراطور البيزنطي حملة من عشرين ألف رجل بقيادة ابنه قسطنطين Constantine لاستهداف ملطية [1]، وتعتبر هذه المرة الأولى التي تنفّذ فيها بيزنطة عملية عسكرية برية هجومية بهذا الحجم ضد الدولة الإسلامية منذ نصف قرن تقريبا عندما هاجمت سميساط سنة 80هـ/700م، وفي مقابل جيش بيزنطي كبير لم يكن أمام ملطية، التي ليس فيها من القوات ما يكفي لرد العدوان، إلا الاستماتة في الدفاع عن نفسها حتى وصول المدد الذي أرسلت في طلبه بشكل عاجل، وعليه تقرر الاستعانة حتى بالنساء اللائي تم إلباسهن العمائم وتوزيعهن على سور المدينة للتمويه وتضليل العدو الذي تمكن مع ذلك من إلحاق أضرار كبيرة بالمدينة قبل أن تصل التعزيزات التي طلبتها [2]، واضطر الخليفة هشام بن عبد الملك إلى توجيه صائفة ذلك العام أي سنة 123هـ/741م لنجدة سكان ملطية في مواجهة الروم، رغم أن المصادر الإسلامية تختلف في تحديد تاريخ هذه الحملة -الصائفة- حيث توردها بين سنتي 121هـ و 122هـ، ويذكر خليفة وابن عساكر فيما يتعلق بأحداثها أن هشام بن عبد الملك سار بنفسه حتى بلغ ملطية [3]، ويؤكد البلاذري هذه الوقائع مع تفاصيل أكثر حيث يذكر أن هشاما عندما بلغه الخبر وهو بالرصافة استنفر الناس للّحاق بملطية ثم جاءه البريد بعد ذلك بانسحاب القوات البيزنطية فأرسل من الجند من يرابط بها وواصل هو الاستعداد للحملة وأقبل في جيوشه عبر الرقة متقلدا سيفا حتى وصل ملطية فأقام بها وأعاد بناء ما خربته الروم، لكنه يؤرخها سنة 123هـ [4]، بينما يرويها أغابيوس Agapius في أحداث السنة التي شهدت تمرد قائد ثيم الأبسيكيون أرتباسدوس Artabasdos على قسطنطين الخامس أي في سنة

- ديونسيوس التلمحرى، **تاريخ الأزمان**، ترجمة شادية توفيق حافظ، مراجعة السباعي محمد السباعي، المركز [1]

القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2008، ص 83 / البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص 220 - 221 / **أنساب الأشراف**، تحقيق وتقديم سهيل زكار ورياض زركلي، ج 8، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996، ص 408 / جمال الدين بن تغري، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ج 1، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992، ص 370.

- البلاذري، فتوح، ص ص 220 - 221.[2]

Cheira, Op cit, p p 230 - 231.

- خليفة، مصدر سابق ص 352 / ابن عساكر، مصدر سابق ج 58، ص 67.[3]

- البلاذري، مصدر سابق ص 221.[4]

742م/124هـ [1]. وترتيب الأحداث بشكل منطقي يفضي إلى اعتماد رواية البلاذري دون تحفظ. لكن ما يثير الانتباه بشدة أن المصادر البيزنطية لا تأتي مطلقا على ذكر هذه الحملة رغم أهميتها باعتبارها أول عمل عسكري بري هجومي كبير للروم ضد الأراضي الإسلامية منذ فترة طويلة.

وتذكر المصادر البيزنطية أن قسطنطين الخامس Constantine V بعد تتويجه امبراطورا خلفا لأبيه ليو الثالث استعد للقيام بهجوم آخر ضد الأراضي الإسلامية للسنة الثانية على التوالي (عام 124هـ/742م) حيث انتقل بقواته إلى ثيم الأبسيكيون وعسكر هناك لإتمام استعداداته قبل التوجه لاستهداف المنطقة الحدودية مع الدولة الإسلامية إلا أن تمرد صهره أرتباسدوس Artabasdos قائد الأبسيكيون أفسد خططه ومنعه من مواصلة الحملة [2] ما يثبت فعلا نيّة البيزنطيين الاستمرار في استثمار نتائج معركة أكروينون لمواصلة الضغط على المسلمين والانتقال إلى وضعية الهجوم المستمر باستهداف مراكزهم الرئيسية في الثغور وقد خدمت الأحداث اللاحقة مخططاتهم حيث أتاحت الفوضى التي عمت الدولة الأموية منذ 126هـ/744م بالتزامن مع استرجاع الامبراطورية الاستقرار على المستوى الداخلي، كل هذا أتاح الوقت الكافي وهيّأ الظروف المناسبة للبيزنطيين لتغيير قواعد المواجهة من الدفاع إلى الهجوم.

أما فيما يتعلق بالدولة الأموية فقد أثرت هزيمة أكروينون وحملة قسطنطين على ملطية بعدها بعام كثيرا على معنويات المسلمين وروحهم القتالية، ويظهر ذلك جليا في أحداث حملة الصائفة سنة 124هـ/742م، فرغم أن الظروف كانت مواتية لتحقيق انجاز جديد يستعيد به المسلمون توازنهم والثقة في امكانياتهم، نظرا لما كانت تمر به الإمبراطورية البيزنطية من فوضى حيث عادت تمزقها الخلافات الداخلية من جديد مع اندلاع الصراع على السلطة بين أرتباسدوس وقسطنطين الخامس كما تم الإشارة إليه سابقا [3]، إلا أن سليمان بن هشام الذي قاد حملة تلك السنة أيضا لم يستطع الاستفادة من تلك الظروف لاستعادة زمام المبادرة وترجيح كفة المسلمين مرة أخرى في صراعهم مع خصومهم البيزنطيين، فبعدما توغل في آسيا الصغرى وجد نفسه في مواجهة جيش قسطنطين الذي كان متمركزا بمقاطعة الأناضول، لكن سليمان بشكل غريب لا يمكن تفسيره تفادى الاصطدام به [4] واتجه شمالا إلى منطقة بافلاجونيا أين

---

[1] - Agapius, **Histoire Universelle,** Edite et traduite en français par Alexandre Vasiliev, Partie 2, Paris 1909, p 250.

[2] - Theophanes, Op cit, p 575.

[3] - Theophanes, Op cit, p 575 / Michel le syrien, Op cit, Tome 2, p 502.

- اليعقوبي، مصدر سابق، ج 2، ص 260 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 199 / عز الدين بن الأثير، **الكامل**[4]

لم يجد أي مقاومة جدية تعترضه نتيجة انشغال الروم بصراعاتهم الداخلية، وهكذا استطاع أن يحقق نصرا سهلا فقتل عددا كبيرا من البيزنطيين (خمسين ألف حسب رواية أغابيوس وهو رقم كما يبدو مبالغا فيه كثيرا) واستولى على غنائم كثيرة وعدد معتبر من الأسرى [1].

إن هذه الحادثة لو صحت ترسم لنا صورة واضحة عن الحالة النفسية التي كان عليها المسلمون بعد موقعة أكروينون فيبدو أن صدمة الخسائر الفادحة التي تكبدوها في تلك المعركة ما زالت حية في أذهانهم، وعليه فضّل سليمان أن يحقق نصرا في المتناول على المغامرة ضد جيش قسطنطين الذي كان مشغولا أصلا بحروب مستمرة مرهقة مع قوات منافسه أرتباسدوس، لكن مع ذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن قرار سليمان بعدم مواجهة جيش قسطنطين ربما يرجع إلى عدم تكافؤ القوة بين الطرفين فحتى في ظل صمت المصادر عن حجم حملة الصائفة التي قادها سليمان تلك السنة يبدو أنها كانت محدودة العدد فعلا حيث تزامن الإعداد لها مع انشغال هشام بن عبد الملك بالأحداث في شمال افريقيا بعد الثورة الخطيرة التي قام بها البربر هناك [2] وكان قد قام قبل ذلك بأشهر قليلة بتجهيز وإرسال جيش كبير من الجند الشامي يضم اثنا عشر ألف رجل بقيادة كلثوم بن عياض سنة 123هـ/741م لمواجهة ثورة البربر [3]، ما أثّر على قدرة الخلافة في تجنيد المقاتلين لتكوين حملة قوية ضد الروم.

تجعل الدراسات التاريخية من هذه المعركة حدثا فاصلا وضع حدّا للمد الإسلامي في الأناضول، فالدكتور أسد رسم مثلا يقول أن المسلمين بعد هذه الهزيمة « اضطروا أن يجلوا عن غربي آسيا الصغرى، وأن يتراجعوا شرقا فجنوبا » [4]، وتبعه في هذا الرأي الكثير من الدارسين ممن جاء بعده مثل حسنين محمد

في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج 4، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1987، ص 464 / عماد الدين بن كثير، **البداية والنهاية**، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 13، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، مصر،1997، ص 130.

[1] - Theophanes, Op cit, p 576 / Agapius, Op cit, partie 2, p 250.

- عبد الرحمن بن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق وتقديم محمد الحجيري، دار الفكر للطباعة والنشر [2]

والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996، ص 364 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 191.

- الرقيق القيرواني، **تاريخ افريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر [3]

والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1994، ص 65.

- أسد رستم، مرجع سابق، ج 1، ص 293.[4]

ربيع، وفتحي عثمان، ومحمد سهيل قطوش الذين تبنوا استنتاجه دون تمحيص [1] كانت حقا هذه الهزيمة حاسمة إلى هذه الدرجة في صراع المسلمين ضد الروم؟ ما يجب التعقيب عليه أولا أن المسلمين لم يكونوا يحتفظون بمواقع ثابتة في غربي آسيا حتى يرتدّوا عنها ويقومون بإخلائها كنتيجة مباشرة لهذه الهزيمة، والمناطق الوحيدة التي كانت تحت سيطرة المسلمين في آسيا الصغرى تقع في الشرق وفي الجنوب (منطقة قيليقية تحديدا) وقد احتفظ بها المسلمون حتى بعد هذه الهزيمة ولم يتأثر وجودهم فيها بما حلّ بهم في أكروينون، أما حملات المسلمين فلم تتوقف بعد هذه المعركة كما تعرضنا إليه سابقا حتى وإن كان المسلمون قد فقدوا توازنهم بعدها واستولى عليهم الارتباك وكانت حملاتهم أقل تأثيرا إلّا أنهم واصلوا مع ذلك تجريد الصوائف داخل العمق البيزنطي وعليه لا يمكن الجزم بالتأثير القطعي الفوري لهذه الهزيمة في إيقاف زحف المسلمين على آسيا الصغرى كما توحي به بعض الدراسات التاريخية، كما يجب أن نأخذ في الحسبان كذلك تأثير الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية على صراعها مع البيزنطيين بعد معركة أكروينون فقد شهدت الخلافة بالتزامن مع هذه المواجهة ثورة خطيرة للبربر في شمال افريقيا اضطرت معها هشام بن عبد الملك إلى التخلي عن قسم كبير من قواته الشامية التي كانت مكلفة بالعمليات الموسمية ضد البيزنطيين وارسالها إلى بلاد المغرب كما مرّ علينا سابقا، بالإضافة إلى أن الخلافة بعدها لم تلبث إلا سنوات قليلة حتى دخلت في حروب داخلية خطيرة بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة 126هـ/744م أدّت إلى سقوطها في نهاية المطاف سنة 132هـ/750م، والتوقّف الذي عرفته حملات الصوائف بالتزامن مع هذه الفتنة منذ سنة 126هـ/744م لم يكن له علاقة أبدا بما حدث في أكروينون بل كان نتيجة انشغال المسلمين بصراعاتهم الداخلية فالشام والجزيرة اللتين كانتا تعتبران القاعدتين الرئيسيتين لتجهيز وإطلاق حملات الصوائف والشواتي كانت تعمّها الفوضى بعدما أضحت منطقة حروب مستمرة بين القوى المتصارعة، كما أن القبائل التي كانت تقطنها والتي اختصّت بتنفيذ حملات الصوائف والشواتي على جبهة الروم دون غيرها من مقاتلة الأمصار الأخرى [2] وجدت نفسها مشغولة بهذه الفتنة والحروب الأهلية ما منعها من لعب دورها الطبيعي في الصراع مع البيزنطيين.

ثم إننا نجد المسلمين بعد فترة الفوضى التي أعقبت انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين يسترجعون زمام المبادرة ويعيدون إطلاق حملات الصوائف من جديد وإن كانت في بداية العهد العباسي

---

[1] - محمد حسنين ربيع، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص 106 / فتحي عثمان، مرجع سابق، ج 2، ص 103 / محمد سهيل طقوش، **تاريخ الدولة الأموية 41-132هـ/661-750م**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، بيروت، 2010، ص 160.

[2] - البلاذري، **فتوح**، ص 191.

روتينية لم يكد معظمها يتجاوز منطقة الثغور مثل حملة محمد بن النضر (أو سعيد بن عبد الله عند الطبري) سنة 133هـ/751م [1]، وحملة سعد بن عبد الرحمن الرحبي سنة 135هـ/753م الذي بقي بدابق وفرّق السرايا لحراسة الدروب [2]، وحملة صالح بن علي التي لم تتجاوز منطقة الثغور هي الأخرى سنة 138هـ/756م [3] وهي كلّها حملات دفاعية كما هو واضح بهدف التصدي لتحركات الروم في المنطقة، إلا أن الحملات أصبحت هجومية وأكثر قوة لاحقا ووصل بعضها إلى قلب الأناضول وحققت نتائج جيدة مثل صائفة صالح بن علي والعباس بن محمد سنة 139هـ/757م حيث تمكنت الحملة التي استهدفت المناطق الشرقية للإمبراطورية من إلحاق خسائر كبيرة بالبيزنطيين حيث تم تحييد ضابط رفيع هو قائد ثيم الأرمينياق بول Paul والقضاء على العديد من جنوده وأسر عدد معتبر من الروم من بينهم أكثر من أربعين شخصية بارزة [4]، وصائفة الحسن بن قحطبة في أكثر من ثلاثين ألف رجل سنة 162هـ/779م التي وصلت حتى دوريلايون Doryliaon أين أمضت هناك أسبوعين وفي طريق العودة حاصروا عمورية لمدة يوم لكنهم تركوها بعدما أدركوا استحالة الاستيلاء عليها نظرا لتحصيناتها القوية، وقد أدت عمليات المسلمين إلى إلحاق أضرار كبيرة بالمنطقة [5]، ومن شدة ما لاقت الروم من ابن قحطبة في هذه الحملة سمّوه التنين [6]، وفي السنة التي تلتها (عام 163هـ/780م) قاد هارون الرشيد ابن الخليفة محمد بن عبد الله المهدي الصائفة ونجح في الاستيلاء على حصن صمالو واخلاءه من سكانه [7]، في شهر سبتمبر بعد حصار طويل

---

[1] - خليفة، مصدر سابق، ص 410 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 460.

[2] - خليفة، نفسه، ص 411.

[3] - خليفة، نفسه، ص 417 / اليعقوبي، مصدر سابق، ج 2، ص 332 / الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 497.

[4] - Theophanes, Op cit, p 596.

[5] - الطبري، مصدر سابق، ج 8، ص 142.

Theophanes, Ibid, p 624.

[6] - البلاذري، مصدر سابق، ص 199.

[7] - البلاذري: مصدر سابق، ص 201 / اليعقوبي، مصدر سابق، ج 2، ص 347 / ميخائيل السرياني، **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير**، عرّبه عن السريانية مار غريغوريوس صليبا شمعون، ج 2، دار ماردين، ط 1، حلب، 1996، ص 424.

استغرق كامل فصل الصيف، ووصلت السرايا التي فرّقها في المنطقة حتى غربي آسيا الصغرى أين اصطدمت بقوات ثيم تراقية تحت قيادة ميكائيل لاشانودراكون Michael Lachanodrakon [1].

صحيح أن الصوائف في العهد العباسي لم تصل إلى نفس مستوى أدائها في العهد الأموي وهذا يرجع إلى عدة أسباب في الحقيقة منها الأوضاع الداخلية الهشة التي ميزت الفترة الأولى لتأسيس الدولة العباسية، وأيضا تقاعس الخلفاء العباسيون الأوائل في مواجهة الروم حيث لم يمتلكوا نفس الحماس والإرادة التي كان عليها الخلفاء الأمويين في حروبهم ضد البيزنطيين ما أتاح لهؤلاء الأخيرين استعادة زمام المبادرة ضد خصومهم المسلمين ومنحهم الوقت الكافي لتكييف عقيدتهم العسكرية من الوضع الدفاعي إلى الوضع الهجومي ما سمح للإمبراطورية البيزنطية في النهاية تحقيق تكافؤ عسكري مع نظيرتها الخلافة العباسية، إلا أن المسلمين في العهد العباسي لم يتوقّفوا مع ذلك عن التوغل داخل آسيا الصغرى ولو على فترات متقطعة.

خاتمة:

تعتبر معركة أكروينون من المعارك المعلمية في الصراع بين المسلمين والروم، حيث عرفت الإمبراطورية البيزنطية كيف تستغل أخطاء المسلمين في تلك الحملة لتحقيق انتصار عسكري كبير على خصومها غاب عنها لمدة طويلة جدا، ولا شك أن هذه المعركة قد أحدثت انقلابا في وضعية الصراع بين الطرفين فالانتصار الذي حققه الروم في هذه المعركة قد أعطاهم دفعا معنويا كبيرا ومنحهم ثقة أكبر في امكانياتهم العسكرية ودفعهم للتخلي عن استراتيجية الدفاع المطلق إلى تبني سياسة أكثر هجومية ضد المسلمين وقد كانت الظروف في كلا الدولتين تسير في صالحهم لتحقيق هذا الانقلاب في عقيدتهم العسكرية وفي موازين القوة مع خصومهم المسلمين على حد سواء ففي مقابل الاستقرار الكبير الذي حظيت به الإمبراطورية في عهد قسطنطين الخامس بعد القضاء على حركة أرتباسدوس كانت الأمة الإسلامية تعيش حالة فوضى وانفلات أمني كبير لسنوات طويلة نتيجة الحروب الداخلية العنيفة التي أعقبت اغتيال الوليد بن يزيد سنة 126هـ/744م والفتن والتمردات التي واكبت قيام الدولة العباسية، ورغم أن هزيمة أكروينون قد كسرت فعلا وتيرة الحملات العسكرية الموسمية للمسلمين ضد الروم إلا أنه لا يمكن الذهاب إلى حدّ الجزم بأنها كانت حاسمة ومفصلية إلى درجة ايقاف اندفاعهم تماما في آسيا الصغرى كما تريد أن تصوره بعض المراجع.

[1]- Theophanes, Op cit, p 625.

قائمة المراجع:

أولا- العربية:

المصادر:

1- ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1987.

2- البلاذري أحمد بن يحي،

- **أنساب الأشراف**، تحقيق وتقديم سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996.

- **البلدان وفتوحها وأحكامها**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط 1، بيروت، 1992.

4- ابن تغري جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة**، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992.

5- ابن خرداذبة عبيد الله، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889.

6- خليفة بن خياط العصفري، **تاريخ خليفة**، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، 1985.

7- ديونسيوس التلمحرى، **تاريخ الأزمان**، ترجمة شادية توفيق حافظ، مراجعة السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2008.

8- الرقيق القيرواني، **تاريخ افريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1994.

9- الطبري محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، ط 2، مصر.

10- ابن عبد الحكم عبد الحمن، **فتوح مصروأخبارها**، تحقيق وتقديم محمد الحجيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996.

11- ابن العديم كمال الدين، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، حققه وقدم له سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

12- ابن عساكر علي بن الحسن، **تاريخ مدينة دمشق وذكرفضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

13- ابن كثير عماد الدين، **البداية و النهاية**، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، مصر، 1997.

14- ميخائيل السرياني، **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير**، عرّبه عن السريانية مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، ط 1، حلب، 1996.

15- ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977.

16- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، بيروت، 2000.

المراجع:

17- رستم أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، دار المكشوف، ط 1، بيروت، 1955.

18- رنسيمان ستيفن، **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، مصر، 1997.

19- سعيد شحاتة أبو الجدايل عائشة، **الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) «دراسة في التطورات والتغيرات»**، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، 1995.

20- طقوش محمد سهيل، **تاريخ الدولة الأموية 41-132هـ/661-750م**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، بيروت، 2010.

21- فتحي عثمان، **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي و الاتصال الحضاري**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر.

22- محمد حسنين ربيع، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983.

23- محمد عبد الحي محمد شعبان، **صدر الإسلام والدولة الأموية 600-750م (132هـ)**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

24- مؤنس عوض محمد، **الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، (330-1453م)**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، الجيزة، 2007.

المراجع الأجنبية:

1- Agapius de Menbidj, **Histoire Universelle,** Edite et traduite en français par Alexandre Vasiliev, Paris 1909.

2- J. B. Bury, **A History of Later Roman Empire**, Macmillan and co, London 1889.

3- Michel le syrien, **Chronique de Michel le Syrien,** Traduite par J. B. Chabot, Paris 1901.

4- M. A. Cheira, **La lutte entre Arabes et Byzantins, La conquête et l'organisation des frontières aux 7 et 8 siècles,** Société de publications égyptiennes, Alexandrie 1947

5- Theophanes, **The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813,** Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Clarendon press. Oxford 1997.

6- Warren Treadgold, **A History of the Byzantine State and Society,** Stanford University Press, California, 1997.